المحاضرة الثانية : النظام السياسي وفق بعض الاقترابات

1. النظام السياسي وفق اقتراب تحليل النظم - الاقتراب النسقي - System Analysis Approach

اقتراب تحليل النظم - الاقتراب النسقي System Analysis - Approachشهد حقل العلوم السياسية تطوراً محلوظاً في أعقاب الحرب العالمية الثانية عجزت معه العلوم السياسية بمناهجها التقليدية عن استيعابه والإحاطة بمختلف الظواهر السياسية الجديدة المصاحبة له، الأمر الذي برزت معه حاجة ملحة لتطوير مناهج البحث في هذا الحقل عن طريق استحداث اقترابات ومناهج أُخرى جديدة أكثر قدرة على فهم هذه الظواهر والإحاطة بها. ويُعتبر اقتراب تحليل النظم من أحد أهم الاقترابات المستحدثة في نطاق الدراسات السياسية التي بدأت في التبلور والظهور مع منتصف خمسينيات القرن العشرين. والحقيقة أنَّ إدخال مفهوم تحليل النظم إلى نطاق دراسة الظواهر السياسية جاء متأخراً، كما لم يكن ذلك بطريقة مباشرة؛ بل جاء من خلال علماء الاجتماع من أمثال بارسونزParsons ، وهومانزHommans ، وغيرهم من الذين قاموا بتطوير مفهوم النظام الاجتماعي، ومن خلالهم تمكن عدد لا بأس به من علماء السياسية من أمثال دايفيد استونDavid Easton ، وجابريل الموند Gabriel Almondوغيرهم من تطوير واستخدام اقتراب النظم في الدراسات السياسية. تطور اقتراب تحليل النظم يرتكز أصحاب اقتراب تحليل النظم/ التحليل النسقي إلى مفهومي "النسق"System ، و"الإتزان "Equilibrium، وهما مفهومان منقولان عن علم الفيزياء، ونُقلا إلى مجال العلوم الاجتماعية ليتم استُخدامها في القرن التاسع عشر في التحليل الاجتماعي والاقتصادي.

جاء تطوير ايستون لاقتراب تحليل النظم في علم السياسة تدريجاً وعلى مراحل. ففي عام 1953، نشر اللبنات الأولى لمفهوم النظام السياسي في كتابهThe Political System ، والتي تطورت بصورة واضحة في مقالته العلمية المنشورة بمجلة World Politics عام 1965 وبصورة

أكثر وضوحاً في كتابه A System Analysis of Political Life الصادر عام 1965، والذي يرى فيه إيستون وجوب تبسيط الحياة السياسية المعقدة والمركبة، والنظر إليها تحليلياً على أساس آلي منطقي على أنَّها مجموعة من التفاعلات التي تتم في إطار النظام السياسي من ناحية، وبينه وبين بيئته من ناحية أُخرى. ووفقاً لاقتراب تحليل النظم، تميل المجتمعات والجماعات إلى أن تكون كيانات مستمرة نسبياً تعمل في إطار بيئة أشمل. هذه الكيانات يمكن نعتها بصفة النظام نظراً لأنَّها تُمثل مجموعة من العناصر أو المتغيرات المتداخلة وذات الاعتماد المتبادل فيما بينها، والتي يمكن تحديدها وقياسها. كما أن لهذه الكيانات أيضاً حدود مميزة تفصلها عن بيئتها فضلاً عن أنَّ كل منها يميل إلى الحفاظ على ذاته من خلال مجموعة من العمليات المختلفة، خاصة عندما يتعرض للاضطراب سواء من داخل أو خارج حدوده مع بيئته الأوسع. يؤكد ايستون أنَّ فكرة النظام كإطار تحليلي، بما تتضمنه من علاقات ومفاهيم نظرية لها دلالات تطبيقية، تُمثِّل نقطة بداية حقيقية في تطوير الدراسات السياسية. هذا الإطار التحليلي للنظام السياسي في أبسط صوره كما يراه ايستون لا يعدو أن يكون دائرة متكاملة ذات طابع ديناميكي من التفاعلات السياسية الموجهة بصفة أساسيَّة نحو التخصيص السلطوي للقيم في المجتمع. تبدأ هذه الدائرة الديناميكية بالمدخلات وتنتهي بالمخرجات، وتقوم عملية التغذية الاسترجاعية بالربط بين نقطتي البداية والنهاية، أي بين المدخلات والمخرجات. كما يوضحه الشكل التالي: نموذج ديفيد ايستون المبسط للنظام السياسي

2. أهم المرتكزات التي قام عليه النموذج:

1.2 . وفق هذا النموذج يعد النظام هو وحدة التحليل ,واستعمل" ديفيد أيستن" لفظ النظام "system"بإعتباره مجموعة من العناصر المتداخلة المتفاعلة بنائياً ووظيفياً وبشكل منتظم وأي تغير يطرأ على أي عنصر يؤثر في سائر عناصر النظام .وبهذا نستنتج إن لفظ نظام تطرأ على كل ما هو سياسي وغير سياسي (نظام سياسي_نظام إقتصادي...وهكذا)وبهذا يمكن الحديث عن الحياة السياسية الداخلية كنظام للسلوك وأيضا على

التفاعلات السياسية الدولية.تشير فكرة النظام ذاتها إنه يمكن فصل النشاط السياسي عن بقية النشاطات الاجتماعية على الأقل لأغراض التحليل وبتالي فإن حدود النظام السياسي تتمثل في كل إجراء يرتبط بشكل أو بأخر باتخاذ إجراءات ملزمة وما دون ذلك يعتبر متغير خارجي عن النظام.

2.2 . النظام السياسي لا يحيا في فراغ بل مغمور دائمآ في بيئة يتفاعل معها بموجب قانون الفعل ورد الفعل وهذا لا يتعارض مع النقاط التصورية لحدود النظام والطريقة التي يعمل بها النظام ستكون جزء منها وظيفة لاستجابة البيئة الاجتماعية والبيولوجية والفزيائية الكلية .

3.2 . إن التفاعل سواء فيما بين الوحدات المكونة للنظام أو بين النظام ومحيطه يصل إلى درجة الاعتماد المتبادل بمعنى أن أفعال وحدة ما تؤثر على باقي الوحدات .وأن التغير في البيئة يؤثر على النظام وأن أفعال النظام تؤثر في البيئة. إن المثل الأعلى لأي نظام سياسي هي البقاء والاستمرار .وبذلك عندما يتقلى ضغوط مختفلة من البيئتين الداخلية والخارجية يحاول اتخاذ قرارات وسياسات للتأثير عليها وإخضاعها لاحتياجاته ومصالحه وأهدافه وهو في ذلك يقوم بعملية شبة ديناميكية للتكيف مع الضغوط المختلفة ونصل إلى أن الاستقرار لا ينفي التغير بل التغير مرادف للتكيف .

ويبقى مهما الإشارة إلى أن النظام السياسي في سعيه لإيجاد حل مناسب للمشكلة يعتمد ليس فقط على الحكمة السياسية لصانعي القرار في التوفيق بين وجهات نظر متعارضة ، ولكنه يعتمد بنفس الدرجة من الأهمية على إتباع أساليب علمية موضوعية للوصول إلى استخلاص أفضل أسلوب بديل يحقق حل المشكلة بأعلى درجة من الكفاءة واقل التكاليف في الوقت والجهد والكلف المادية .

المصادر :

1- الموسوعة السياسية ، متاح في :
اقتراب تحليل النظم - الاقتراب النسقي
https://political-encyclopedia.org/dictionary/
2- عادل ثابت، النظم السياسية، دراسة للنماذج الرئيسية الحديثة ونظام الحكم في البلدان العربية ولنظام السياسي الإسلامي، دار الجامعة الجديدة، 2007.
3- نظرية النظم ل دايفيد إيستون (وحاله تطبيقيه "الواقع الإفريقي") ، المركز الديمقراطي العربي. متاح في : https://democraticac.de/?p=76543 .
4 - ثامر كمال محمد الخزرجي ، النظم السياسية الحديثة والسياسات العامة (دراسة معاصرة في إستراتيجية ادارة السلطة). الأردن : دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، 2004 .